ابن خفاجة الاندلسي

—«×»—

هو ابواسحق ابراهيم بن ابي الفتح بن عبدالله بن خفاجة شاعر شرقي الاندلس واحد وصاف الطبيعة .

ولم نعلم من نسبه اكثر مما ذكرنا . وقرأنا ديوانه فلم نتعرف منه أكان عربي الأصل أم اعجميه ولعلنا بعد عاثرون على مايقفنا على حقيقة عنصره اذا كان في الاجل فسحة ، وللجهد ندحة .

« الحالة السياسية والاجتماعية والادبية في عصره »

لعلك أيها القاري' ذاكر ما وصفنا به في ترجمة ابن زيدون (المنشورة في الأجزاء الماضية) احوال البيئة السياسية والاجتماعية والادبية في الاندلس عصر ذلك الرجل وما كان لها من الاثر في طباعه ومعرفته ؛ فكذلك كانت البيئة التي نشأ فيها مترجمنا لآن ابن خفاجة الا قليلاً ، فانه نشأ في وسط هذا العصر اي في زمن ملوك الطوائف ، وعاش طويلاً حتى زالت دولهم . وورث المرابطون المثمون ديارهم وولوا عليها السادة من ابناء سلطانهم ، فشاهد كل حكمهم في الاندلس .

وهؤلاء المرابطون وان أسس اوائلهم دولتهم على مبدإ الانتصار للاسلام والزهادة في الدنيا ، وايثار الخشونة في العيش ، فان ابناءهم في الاندلس وولاتهم بها لم يلبثوا ان حذوا حذو ملوك الطوائف في التمتع والانق ، وان لم يستطيعوا الترفيه على كل المقيمين بالاندلس من اهل العلم والادب ، اذ كان فضل جباية الأموال والثمرات منقولاً الى الحضرة بمراكش . فمن لم يستطب العيش بالاندلس ممن ادركته حرفة الأدب أجاز الزقاق الى عدوة المغرب الاقصى وافريقية ، ومن كان له بقية من تراث آبائه تبلغ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بها عن مفارقة الوطن ، وتصون عن خدمة السادة من الابناء اوالثائرين عليهم المستبدين ببعض النواحي من اهل البلاد كمترجمنا ابن خفاجة .

ولكل هذه الأحوال تأثير بين في نشأة ابن خفاجة فوق تأثير طبيعة اقليمه الذي كان يقطنه من شرقي الاندلس ، وهو مدينة شقر التي تقع على نهاية وادي نهر شقر بين بلنسية وشاطبة (وهما من اطيب البلاد واكثرها بساتين ومنازه) وعلى مقربة من بحر الروم (البحرالمتوسط) وتحيط بها المياه من اكثر جوانبها حتى سميت لذلك جزيرة شقر وفيها يقول ياقوت صاحب المعجم « جزيرة شقر في شرقي الاندلس وهي أنزه بلاد الله واكثرها روضة وشجراً وماءً » وفيها يقول الاديب ابو عبد الله محمد بن عائشة من قصيدة بديعة :

فيا راكباً مستعجل الخطو قاصداً ... الا عج بشقر رائحاً ومغاديا
وقف حيث سال النهر ينساب أرقماً ... وهب نسيم الأيك ينفث رافيا
وقل لأثيلات هناك وأجرع ... سقيت أثيلات وحييت واديا

فكان في صباه شاباً طروباً مرحاً لعوباً يستبق الى اللذات و يباكر الرياض يصفها و يناغي اطيارها ، كأنه عندليب يحط من الوادي على سرحة ، فيصدح صدحة ، ثم يتخلل منه جنات الفافاً ، فيناشد ألافاً ، طبعته على ذلك طبيعة الوادي الذي يقطنه ، والدولة التي يعيش في سلطانها ، فقد نشأ في ملك بني عبدالعزيز العامريين ومواليهم[1] المستبدين بملك بلنسية وشرقي الاندلس ، وكانوا من خير ملوك الطوائف ايثاراً للادب وحدباً على اهله وضبطاً لامور بلدهم ، فطاب العيش في اكنافهم ، واشتمل الامن على رحابهم . وكان يتاخم ملكهم الى الجنوب من موالي العامريين ايضاً ملك المعتصم بن صمادح صاحب المرية ، وطال ملكه وعز سلطانه ، حتى لم يكن في آخر ملوك الطوائف من هو أقوى منه سلطاناً عند عبور المرابطين الى البلاد غير المعتمد بن عباد .

ولم يبرح ابن خفاجة في كهولته وشيخوخته وطنه ، بل أقام في سلطان المرابطين مقرباً الى ولاتهم والسادة من ابناء ملوكهم ، متعففاً عما في ايديهم بما في يده ، مهتبلاً

(١) نسبة الى المنصور بن ابي عامر الحاجب المستبد بملك بني أمية مدة المؤيد هشام .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العافية والخصب والامن في دولتهم، حتى وافاه اجله عند انتهاء اجل دولتهم باستيلاء بني عبد المؤمن من الموحدين على ملكهم .

فقد علمت مما تقدم ان نشأته الاولى وهي سن التأدب والتحصيل كانت في بهرة عصر ملوك الطوائف ، وكانت الاندلس حينئذ غاصة بالادباء والشعراء والعلماء ، وكان ملوكها انفسهم شعراء وادباء ومؤلفين ، وكانوا على اشد تنافس في اصطفاء كل ذي إجادة واستيزار وزرائهم من جلة الكتاب والشعراء .

فالعيش في ظلال هذا الوادي اليانع ، وعلى ساحل هذا البحر المتوسط ، وتحت سرادق هذا الرخاء الشامل ، وبين هؤلاء المثقفين بالعلم الغزير والادب الرائع ، وحوالى هذه النعمة الموروثة ، ظنين بان يخرج في أفق الادب شاعراً مثل ابن خفاجة بهجاً بالصبا طرباً بالهوى ، ولعاً بالجمال ، متقلباً في اللذات ، وصافاً لبدائع المشاهدات من روضات الجنات ، حتى اذا ماافشعت سحب شبابه ، وتشتت شمل أحبابه ، وعدت شعوب على اترابه أخلص في اوبته ، وأقلع عن صبوته ، الا بقية من ذكرى ايام الصبا واجتلاء محاسن الطبيعة لاتزال عالقة بشعره سائر حياته وما فارقته الا بمامه .

« نشأته ومعيشته »

ولد ابن خفاجة سنة ٤٥٠ هـ بمدينة (شقر) وضبطها ابن خلكان بضم فسكون وضبطها ياقوت في معجم البلدان بفتح فسكون وعندي ان ضبط ابن خلكان اقرب الى الصحة لان اسمها أعجمي في الوادي المسمى باسمها الذي تقع هي عند مصبه وهو نهر شقر . وكتب قديماً على المصورات التاريخية للمملكة الرومانية بشين مشمة الى الضم .

ومدينة شقر هذه من اعمال بلنسية المشهورة بكثرة بساتينها وفاكهتها الى وقتنا هذا . وجنوبي شقر مدينة شاطبة ، ولا تقل عن بلنسية في طيبها . وكلتا المدينتين اخرجت الكثيرين من فحول الادباء والقراء واهل الحديث والعربية ، ولاغرو فاذا كتنافهما لمدينة شقر عن يمين وشمال كان لهاثر اي اثر في تنشئة ابن خفاجة ، ولقنه من علمائها فنون الادب وعلوم العربية ، وان لم نقف على اسماء من اخذ عنهم ، ولا على شيء من اخبار تربيته الاولى غير كونه في شبابه صاحب لهو وتطرب وقصف ومجون يختلف مع احبته وندمانه الى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الرياض والبساتين ويجتلي الثمار والرياحين . ثم تاب واناب . وفي ذلك يقول الفتح بن خاقان وهو من معاصريه .

« وكان في شبيبته مخلوع الرسن في ميدان مجونه ، كثير الوسن بين صفا الانتهاك وحجونه ، لا يبالي بمن التبس ، ولا اي نار اقتبس ، الا انه نسك اليوم نسك ابن أذينة ، وغض عن ارسال نظره في أعقاب الهوى عينه » .

ولم يعرف عنه انه تكسب بالادب والشعر او خدم في دولة ملك من ملوك الطوائف بالكتابة و بالحجابة كدأب اكثر أدباء الاندلس في التعيش فقال ابن بسام صاحب الذخيرة بعد أن أثنى عليه .

« وكان مقيماً بشرق الاندلس ، ولم يتعرض لاستماحة ملوك طوائفها ، مع تهافتهم على اهل الادب » .

إذن فمن اين كان يعيش ؟ إن من قرأ ديوانه يجد في خلاله انه كان يعيش من فضل تراث خلفه له آباؤه ، وانه كان له ضيعة او ضياع يتبلغ بغلّتها ، واستغنى بها عن قصد الملوك الا اذا ظلم بمصادرة او إرهاق بضريبة ، فربما قصد بعض الملوك او امراء المرابطين في النظم اليه ، فمدحه ببعض القصائد ، وفي ذلك المعنى قصيدته الرائية البليغة التي بعث بها الى الامير ابي يحيى بن ابراهيم يمدحه و يسأله شكر القائد الاعلى ابي عبدالله محمد بن عائشة عن يره به وحمله في امر ضياعه . واولها :

سمح الخيال على النوى بزار والصبح يمسح عن جبين نهار

وفيها يقول في استغاثته :

حرم اذا اشتمل الطريد بظله لم يخش من جور هنالك جاري

وقوله من قطعة كتب بها الى الامير ابي بكر :

اوجهك بسام وطرفي باكٍ وعدلك موجود ومثلي شاكٍ
وتأبى اهتضامي في جنابك همة تهزك هز الريح فرع أراك
وقد نام عني ظالم لي ذاعر فيا هبة السيف الحسام دراكِ

وفي غير ذلك كانت صحبته للوزراء والامراء والرؤساء صحبة مؤانسة ومنادمة ، وكان تعففه عما في ايديهم داعية لاكباره في صدورهم ، ورفعه عن مرتبة الملال من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نفوسهم ، فعاش فيهم عيشة النظير لنظيره ، وحفظ على نفسه كرامتها .

والمطلع على ديوانه يرى من خلال الاغراض التي نظم فيها الشعر انه لم يغادر شرقي الاندلس كثيراً ، وربما رحل الى غربيها في بعض الحاجات فزار اشبيلية ونواحيها ، ثم يرى انه أجاز الى عدوة المغرب الاقصى في حكم المرابطين وطالت غيبته عن الاندلس حتى تشوقها وتلهف الى العودة ، فهل كان سفره الى عدوة المغرب تطلباً لتصرف في خدمة المرابطين في دار سلطانهم كما فعل كثير من أدباء الاندلس ؟ هذا ما ينافيه قوله في كثير من المواضع وما اخذ به نفسه من التصون . ولعله كان في رفع ظلامة طال الامد على الفصل فيها ، حتى تبرم بالمقام وحنّ الى وطنه ، وفي ذلك يقول من قصيدة :

فيا لشجا قلب من الصبر فارغ ... ويا لقذى طرف من الدمع ملآن
ونفس الى جو الكنيسة صبة ... وقلب الى أفق الجزيرة حنان
تعوضت من واهاً بآه ومن هوى ... بهون ومن اخوان صدق بخوّان
وما كل بيضاء بروق بشحمة ... وما كل مرعى ترتعيه بسعدان
فيالبت شعري هل لدهري عطفة ... فتجمع أوطاري علي وأوطاني
ميادين أوطاري ولذة لذتي ... ومنشأ تهيامي وملعب غزلاني
كأن لم يصلني فيه ظبي يقوم لي ... لماه وصدغاه براحي وريحاني
فسقياً لواديهم وإن كنت انما ... أبيت لذكراه بغلة ظمآن
فكم يوم لهو قد أدرنا بافقه ... نجوم كؤوس بين أقمار ندمان

وفي تشوقه الاندلس يقول ايضاً :

ان للجنة في الاندلس ... مجتلى حسن وريا نفس
فسنا صبحتها من شنب ... ودجى ظلتها من لعس
فاذا ما هبت الريح صبا ... صحت وا شوقاً الى الاندلس

وعاش ابن خفاجة بقية عمره في نسك وزهادة وحنين الى الصبا وذكرى لفقد أحبائه ولداته لتأخر اجله ؛ ولكن كل اولئك لم يسله عن اجتلاء محاسن الطبيعة ووصفها بابلغ القول حتى وافته منيته سنة ٥٣٣ بجزيرة شقر مسقط رأسه .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« شعره »

يعتبر ابن خفاجة من شعراء الطبقة الثانية في الاندلس اي بعد طبقة ابن هانئ ، وان لم يكن له قرين فيها ، فهو لا يقل في جزالة لفظه وتصرفه في المعاني عن اكبر شاعر بعد ابن هانئ ، وهو يفضل ابن زيدون في اختراعه كثيراً من المعاني الرائعة وحسن توليده لها ويفضله ابن زيدون في غلبة السهولة والانسجام على شعره .

وامتاز ابن خفاجة عن سائر شعراء الاندلس في حسن وصفه لمشاهد الطبيعة وكثرة تصرفه في معاني الوصف على كثرة ولوع شعراء الاندلس بهذا الفن من الشعر ، حتى عده أدباؤهم ومؤرخوهم فريد قطره ووحيد نسجه ، بل غالى بعضهم حتى جعله في هذا الباب مقطوع النظير في المشارقة والمغاربة ، فلا يدانيه أمثال ابن الرومي والبحتري وابن المعتز والصنوبري وكشاجم والمأموني من وصافي المشارقة ، ولا ابن هانئ وابن دراج وابن وهبون وابن عمار والشنتريني والايادي وابن شرف وابن رشيق وابن حمديس من وصافي المغاربة ، وهو قول لا يخلو من شبهة ، ولا يقبل الا بعد مراجعة وتعقب . ولعلنا نشير الى ذلك بعد .

واذا حللنا — كما يقولون — شعره من حيث أغراضه ومعانيه والفاظه استطعنا ان نجمل ذلك فيما يأتي :

أغراض شعره اي أبوابه وفنونه وضروب مقاصده فيه .

(١) الوصف — لا يخلو من يقول إن جل بضاعة ابن خفاجة من شعره الوصف بانواعه فلا تكاد قصيدة او قطعة له تخلو منه وبخاصة وصف مشاهد الطبيعة ، وربما أحله من صدور قصائده محل النسيب وذكر الديار ، بل أدخله في كل شيء من أغراض الشعر حتى الرثاء ولذلك عد عند جمهور الادباء من اكبر وصاف الطبيعة مع انه وصف غيرها كثيراً من المشاهدات والأحوال ، الا ان وصف تلك هو الغالب عليه . ومن قرأ ديوانه وجد ان وصفه يتناول جملة أشياء .

فقد وصف من النبات وبقاعه الرياض والبساتين والربا المخضرة والاشجار والازهار وبعض الثمار .

ووصف من المياه وما يداخلها ، البحار وسفنها وزوارقها ، والانهار وشواطئها وصفاءها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وحصاها ، والجداول والتواءها ، والسحب والأمطار والثلج والبرق ، وما يشاكل ذلك من النار وضوئها وهو مغربي بوصفها .

ووصف من السماء غيمها وصحوها وشمسها والبدر والهلال والكواكب ذوات الصور والاسماء الشهيرة كالثريا والفرقد ، والليل وطوله وقصره وظلامه والسرى فيه وهو من أحسن واصفيه .

ووصف من الحيوان الخيل وكلاب الصيد والذئاب والارانب والحيات .

ووصف من الارض الجبال والاودية والديار والمنازل وقبور الموتى .

ووصف من أحوال الانسان السواد والبياض والشيب والشباب ونبات العذار وسواد الخال والنوم وطيف الخيال ومعارك القتال .

ووصف من الادوات السيف والرمح ومحك الذهب والكاس وآنية الشراب الخ .

ولو شئنا ان نأتي لوصفه كل شيء بشاهد واحد من قوله لاتسع بنا مجال القول وعز على الطالب استحضاره ، ولكننا سنذكر بعد بعض شيء من وصفه مع جملة من شعره في الاغراض المختلفة ومن أراد الاستيعاب والتوسع فليقرأ ديوانه وهو مطبوع مشهور . ولم نأت بشيء مما ذكرنا الا بعد ان قرأناه في ديوانه .

(٢) النسيب — اكثر نسيبه من نوع الغزل الخاص بذكر الشوق والغرام وذكر محاسن النساء والغلمان على طريقة المشارقة ، و يقل في كلامه النسيب بذكر ديار العرب ومنازلها في جزيرتها ووصف الأطلال والدمن والظعائن — وقد يستبدل بالنسيب الذي يمهد به للمدح في القصائد المطولة وصف الطبيعة .

(٣) المدح — لم يتكسب ابن خفاجة بالشعر يمدح به الملوك والامراء . وتلك القصائد الطنانة التي تعد اطول قصائده انما مدح بها من ذكرنا إما استمداء على جائر عليه في امر ضياعه او استصلاحاً لها ، وإما شكراً على يد ابتدأه بها ذو سلطان ، وإما وفاء بحقوق الصحابة واستبقاء لدواعي المودة ، و يدخل في معنى ذلك تهنئة صديق بارتقاء او فائد بفتح مدينة وفي ذلك يقول :

وأنشق لوعة لعرار نجد صبا نجد أسائلها شميما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكنت رجوت ان اعتاض منه زعيماً او عليماً او حليما
ولما ان نظرت مع الليالي فلم أنظر بهـا الا مليما
عباماً او كهاماً او جهاماً لئيماً او ذميماً او زنيما
شددت على القوافي كف حر كريم لا يسوغهـا لئيما
فما أطريـه اذا اطريت الا حميماً او حبيباً او حميما
ومطروراً أجرده صقيلاً ويعبوباً أكرّ به كريما

و يقصد بالحمي ذا السلطان الذي يستعين به على حماية عقاره و يستشفعه في قضاء حاجته .

و يشهد له في تأييد دعواه هذه قول ابن بسام صاحب الذخيرة في ترجمته اياه (وكان مقيماً بشرقي الاندلس ولم يتعرض لاستماحة ملوك طوائفهـا مع تهافتهم على اهل الادب) .

وابن خفاجة اذا مدح أجاد المديح وطال فيه نفسه ، واتى بمعان غريبة .

(٤) الرثاء — وهو من الاغراض التي اكثر فيها القول وأبدع فيهـا المعاني بعد الوصف . واكثر ما قاله منه في رثاء إخوانه ولداته لوفاتهم قبله وتعميره بعدهم وتوحده في قرن بغايرهم تربية وطباعاً ، ولذلك كان توجعه لفقدهم وأسفه على ماضي ايامه معهم من أبلغ كلامه اثراً في النفس وأهيجه للشجون .

وربما استهل بعض قصائده في الرثاء بما يناسب مذهبه في وصف الطبيعة كقوله :

الا ليت لمح البارق المتألق يلف ذيول العارض المتدفق
ويركب من ريح الصبا متن سابح كريم ومن ليل السرى ظهر أبلق
فيهدي الى قبر بحمص تحيـة متى تحتملها راحة الريح تعبق
فعندي لحمص اليـه نظرة لوعة وللنجم وهنا اي نظرة مطرق

وحمص هذه التي يذكرها اسم مدينـة اشبيلية لانه نزلها بعد الفتح جند حمص من اهل الشام .

وقوله وهو من بديع الافتنان من قصيدة يتصرف فيها بجملة فنون ويرثي إخوانه :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أفيما تؤدي الريح عرف سلام ... ومما يشب البرق نار غرام
وإلا فما ذا أرج الريح سحرة ... واذكى على الاحشاء لفح ضرام
اما وجمان من حديث علاقة ... يهز اليه الشيخ عطف غلام
تحلت به ما بين سلمى ومربع ... سوالف ايام سلفن كرام
لقد هزني في ربطة الشيب هزة ... أرتني ورائي في الشباب أمامي

الى ان يقول في الرثاء :

وقفت وقوف الشك بين قبورهم ... أعظمها من أعظم ورجام
واندب أشجى رنة من حمامة ... وأبكي وافضي من ذمام رمام
قضوا بين واد للسماح ومشرع ... وغارب عز في العلا وسنام

(٥) الشكوى والتوجع — واكثر ما يكون منه ذلك في شكوى الشيب والكبرة وفوات لذات الصبا واعياء الجسم وموت الأحبة فمن ذلك قوله :

فمن مبلغ الحسناء عني انني ... خلعت نجاد السيف خلع التمائم
وكنت اذا ما أعضل الخطب لاجئا ... الى كالئ من مضرب السيف عاصم
فها أنا لا يُسرى تُواخي على العُسرى ... عِناناً ولا يُمنى تلوذ بقائم

وقوله :

الا ساجل دموعي يا غمامُ ... وطارحني بشجوك يا حمامُ
فقد وفيتها ستين حولاً ... وناداني ورائي هل أمام
وكنت ومن لباناتي أُبَيْني ... هناك ومن مراضعي المدام
يطالعنا الصباح ببطن حزوى ... فينكرنا ويعرفنا الظلام
وكان بها البشام مراح أُنس ... فما ذا بعدنا فعل البشام
فيا شرخ الشباب الا لقاء ... يبل به على يأس أوام
ويا ظل الشباب وكنت تندى ... على أفياء صرحتك السلام

وقوله يندب الشيب ويأسف على فوات الشباب (ويا أسفا على الشباب !) :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وما راعني الا تبسمُ شيبة ... نكرت لها وجهَ الفتاء تجهُّما
فعفت غراباً يصدع الشمل ابيضاً ... وكان على عهد الشبيبة اسحما
فآه طويلاً ثم آه لكبرة ... بكيت على عهد الشباب بها دما
وقد صدئت مرآة طرفي ومسمعي ... فما أجد الاشياء كالعهد فيهما
كأن لم يشقني مبسم الصبح باللوى ... ولم ارتشف من سدفة دونه لمى
ولم اطرق الحسناء تهتز خوطة ... وتسحب من فضل الضفيرة ارقما
ولا سرت عنها اركب الصبح اشهبا ... وقد جئت شوقاً اركب الليل ادهما
ولا جاذبتني الريح فضل ذؤابة ... لبست بها ثوب الشبيبة معلما

وقوله في آخر عمره وهي من لزوم ما لا يلزم :

اي عيش او غذاء او رسنة ... لابن احدى وثمانين سنة
قلص الشيب به ظل امرىء ... طالما جر صباه رسنه
تارةً تسطو به سيئة ... تسخن العين وأخرى حسنة

وقوله :

الا عرِّس الاخوان في ساحة البلى ... وما رفعوا غير القبور قبابا
فدمع كما سح الغمام ولوعة ... كما أضرمت ريح الشمال شهابا
اذا استوقفتني في الديار عشية ... تلذذت فيها جيئة وذهابا
اكر بطرفي في معاهد فتية ... تكلتهم بيض الوجوه شبابا
فطال وقوفي بين وجد وزفرة ... أنادي رسوماً لا تحير جوابا
وأمحو جميل الصبر طوراً بعبرة ... أخط بها في صفحتي كتابا
وقد درست أجسامهم وديارهم ... فلم أر الا أقبراً وبيابا
وحسبي شجواً ان ارى الدار بلقعاً ... خلاء واشلاء الصديق ترابا

(٦) الفخر — واكثر فخره من نوع الفخر المحكي المزعوم المخول الذي لا يرجع فيه الشاعر الى منقبة معروفة عنه او منسوبة لآبائه ، فهو يفتخر بالشجاعة وقهر الاقران في مواطن القتال ونيل المجد بظبي السيوف وأسنة الرماح مع انه من ارباب الأقلام لا الحسام .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نعم لا يكثر عليه تخيره في بعض قصائده ومقطعاته بامتلاك ناصية الفصاحة في الشعر والكتابة لانهما كل صناعته ومنتهى غايته ، ومع ذلك فهو لا يجيده في الجملة وانما يجيد الفخر أصحاب الهمم الطامحة او النسب الشريف ، وصاحبنا كان خليعاً في صباه متزهداً متعففاً في كهولته وشيخوخته وكلتا الخصلتين مجلبة للخمول ، ولو كان له من الهمة وطموح النفس دون حاله من علو الكعب في الشعر والكتابة لافترع مرتبة الوزارة او الإمارة كما فعل غيره من أمثال ابن عمار وابن زيدون .

(٧) الحكم والأمثال — يقل في كلام ابن خفاجة الحكم والأمثال العامة في سياسة الناس وتدبير المعيشة ، وان خاض في الحكم الخاصة بالزهادة والعزلة والاعتبار بالموت وريب الزمان .

(٨) الهجاء — وأقل مافي شعره الهجاء وهو لايحسنه بطبيعته ، وانما يهجو من يكثر اعداؤه وحساده بمنافسته لهم ، وهو قد أراح نفسه بالعزلة وعدم التعرض لمزاحمة الشعراء والنظراء على أبواب الملوك .

(٩) محبة الوطن والشوق اليه — وابن خفاجة ممن غلب على قلبه حب وطنه فآثر ملازمته اكثر حياته ، ولقد قضت عليه بعض الضرورة بالجواز الى عدوة المغرب فما هو الا ان عبر الزقاق حتى ألهبت فؤاده لوعة الفراق ، وحن الى العيش بين الاهل والرفاق ، وخيل اليه ان حياته ودنياه في الاندلس واهلها ، بل هي جنة الدنيا ومنية النفوس القصوى بل رغب بها عن الاخرى وصاح وشدا :

يا اهل اندلس لله دركم ماء وظل وانهار واشجار
ماجنة الخلد الا في دياركم ولو تخيرت هذي كنت اختار
لاتختشوا بعدها ان تدخلوا سقراً فليس تدخل بعد الجنة النار

وقال :

اجبت وقد نادى الغرام فاسمعا عشية غناني الحمام فرجعا
فقلت ولي دمع ترقرق فانهمى يسيل وصبر قد وهى فتضعضعا
ألا هل إلى أهل الجزيرة أوبة فأسكن أنفاساً واهدأ مهجعا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأغدو بواديها وقد نفح الندى معاطف هانيك الربا ثم أفشها
أغازل فيها للغزالة سُنة تحط الصبا عنها من الغيم برقعا
وقد فضّ عقد القطر في كل تلعة نسيم تمشي بينها فتضوّعا
وبات سقيط الطل يضرب سرحة ترف بواديها ، وينضح أجرعا
وابرز فنا دار الي حبيبة وحسبك مصطافاً هناك ومربعا
لقد تركتني بين جفن جفا الكرى وجنب تقلّى لا يلائم مضجعا
اقلب طرفي في السماء لعلني أشيم سنا برق هناك تطلعا

وقد مر بك من هذا الباب مافيه غناء . « للبحث صلة »

القاهرة : احمد الاسكندري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net